مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (33)، ع (5)، ص ص: 157 - 186، (٢٠٢٥م)
DOI: 10.4197/Art.33-5.6

التربية على الصبر من خلال قصة يوسف -عليه السلام-

غالية بنت محمد بن حسن البيشي الرمثي

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة بيشة، بيشة، المملكة العربية السعودية
g.mh20101@gmail.com

المستخلص: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والاستنباطي عن طريق قراءة آيات قصة يوسف عليه السلام؛ لاستخراج ما جاء فيها عن التربية على الصبر، ثُمَّ ترتيبها؛ مع وضع الآيات في المبحث الخاص بها. وابتدأ البحث بالتعريف بسورة «يوسف»، ثم بيان مفهوم الصبر، وأقسامه، وفضله ومنزلته، ثم ذكر المواضع التي وردت فيها الحديث عن الصبر في «قصة يوسف»، وهي صبر يوسف عليه السلام على حسد إخوته، وإلقائهم له في الجب، وصبره على العبودية، ومفارقة أبيه، وصبره على مراودة امرأة العزيز، وصبره على محنة السجن، وصبره على توليه زمام الحكم، وصبره عند لقائه بأخوته؛ وصبره عند تحقق رؤياه، وأثر صبره على تجاوزه لكل هذه الابتلاءات وخروجه منها تقيا نقيًا طائعًا لله تعالى، وذكر أوجه الاستفادة من القيم التربوية للصبر من خلال قصة يوسف عليه السلام في الواقع المعاصر.

وقد توصلت البحث إلى نتائج منها: بلغت المواضع التي ورد فيها الحديث عن الصبر في «قصة يوسف -عليه السلام-»، ثلاثة مواطن، وقد تعددت صور الفتن والابتلاءات التي تعرض لها يوسف -عليه السلام) وتنوعت من غربة إلى فتنة الشهوات إلى السجن إلى فتنة الجاه والسلطان لكنه واجهها بشيء واحد وهو الثبات على أمر الله تعالى والصبر على الابتلاء. وأن التقوى والصبر سبب تمكين يوسف -عليه السلام-، وحسن عاقبته، ومن القيم التربوية للصبر التي اشتملت عليها قصة يوسف -عليه السلام-: الصبر في البعد عن رفقة السوء، والصبر في البعد عن نشر الإشاعات، والأناة، وضبط النفس عند حصول النصر حتى تتكشف الحقائق، وعدم غلق باب الأمل، وفتح باب العمل على مصراعيه، والرفق واللين مع الآخرين وقت المحن، والصبر على كتمان النعمة حتى تكتمل.

الكلمات المفتاحية: الصبر، يوسف، قصة، التربية.

المقدمة

الحمد لله الذي بفضله تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تُزكَّى الأعمال وبرحمته تُرفع الدرجات، والصلاة والسلام على محمد (ﷺ) الذي شرَّفه الله بحَمْل رسالته، وتبليغ دعْوته، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديهم

إلى يوم القيامة، أما بعد:

فلقد خلق الله هذه الحياة مبنية على الأكدار والآفات، مليئة بالمصاعب والمتاعب التي تعكر صفوها، فلا يملك العبد إلا أن يوطن نفسه على خلق الصبر؛ ولذا حثنا القرآن الكريم عليه في كثير من آياته: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (هُود: 49).

وجعل الله تعالى الأنبياء –عليهم السلام– مثلًا للصبر على البلاء، فقد لاقوا من العناء والنصب ما لا يتحمله غيرهم، فقابلوا هذه البلايا وهذه الفتن بالصبر الجميل الذي لا شكوى معه ولا جزع، وقد ضرب يعقوب ويوسف –عليهما الصلاة والسلام– أروع الأمثلة في هذا النوع من الصبر الذي هو ترفع على الألم، والاستعلاء على الفتن التي تعصف بالقلوب، وتزلزل الأفئدة، والثبات على محن الدعوة، والثقة الكاملة في وعد الله جل وعلا بالنصر.

وما قص لنا الله تعالى قصص الأنبياء –عليهم السلام– وأممهم إلا لتربيتنا على دينه، والثبات عليه، والصبر على أمره وقدره، وتعد سورة يوسف –عليه السلام– أحسن قصص قصه الله تعالى في كتابه، وهي تتمحور على التربية على الصبر بمفهومه الشامل، ولذا أردت أن أقف على معالم التربية على الصبر في هذه القصة الجليلة المحكمة، فعزمت على ذلك في هذا البحث الموسوم بـ: (التربية على الصبر من خلال «قصة يوسف –عليه السلام–»).

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على الآيات القرآنية التي ورد فيها الحديث عن الصبر من خلال «سورة يوسف –عليه السلام–» دون التطرق إلى غيرها من السور الأخرى إلا ما استدعاه المقام واقتضته الحاجة حتى لا يتشعب الكلام ويتفرع.

مشكلة البحث، وتساؤلاته:

تدرو مشكلة البحث على بيان التربية على الصبر في قصة يوسف –عليه السلام–.

ويتفرّع عن هذه المشكلة التساؤلات التالية:

1– ما مفهوم «الصبر والتربية»؟

2– ما أقسام الصبر في القرآن الكريم؟

3– كم عدد المرات التي ذكر فيها لفظ الصبر في «سورة يوسف»؟

4– ما أبرز القيم التربوية والسلوكية التي اشتملت عليها «قصة يوسف – عليه السلام–» من خلال آيات الصبر؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال الموضوع الذي يدور عليه البحث، حيث يتناول البحث:

1– الصبر وأهمية التربية عليه، ولا يخفى ما للتربية على الصبر من قيم تربوية وسلوكية مهمة في استقامة المسلم وثباته كما أوضحتها قصة النبي الكريم يوسف عليه السلام.

2– المِحَن والابتلاءات التي يتعرض لها العبد سراء كانت أم ضراء، وضرورة معرفة سبيل النجاة منها، ومن أعظم المحن تلك التي مرت على النبي الكريم يوسف على السلام، ففي بيان سبيل النجاة منها من خلال سيرة النبي الكريم أهمية قصوى، لذا ثبت الله تعالى بها نبيه – محمد – (ﷺ).

3– قصة يوسف –عليه السلام– أحسن القصص كما أخبر الله تعالى في كتابه، ولا يخفى أن للقصص القرآني أثراً هامًا في بناء الشخصية المسلمة الثابتة على دينها الطاهرة النقية.

أهداف البحث:

1– بيان قيمة التربية على الصبر من خلال قصة النبي الكريم يوسف –عليه السلام–.

2– بيان أثر الابتلاء بالمنصب، وكيفية التغلب على هذا الابتلاء من خلال قصة النبي الكريم يوسف –عليه السلام–.

3– إظهار الترابط بين التربية على الصبر وخلق العفو عن الناس، ولاسيما الأخوة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقراء لم أقف – حد علمي– على دراسة علمية تناولت ظاهرة (التربية على الصبر من خلال «قصة يوسف– عليه السلام–»)؛ من هنا عقدت النية على جمع ما يتعلق بالموضوع محاولاً معالجته من ناحية التفسير الموضوعي لهذا الموضوع.

وقد وجدت دراسة تحت عنوان "الصبر كما صورته سورة يوسف –عليه السلام– للباحثة: نور الإسلام عبد الوهاب عبد العزيز سالم، المنشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية العدد (39)، الإصدار الثاني، (يونيو 2023م)، وثمة فروق بين بحثي هذا والبحث المنشور، يتضح ذلك من خلال الآتي:

أولًا: كان موضوع البحث الأول عن الصبر كما صورته سورة يوسف –عليه السلام– دون التطرق إلى منهج القرآن في التربية على الصبر في هذه السورة، بينما بحثي يعتني ببيان منهج القرآن في التربية على الصبر من خلال هذه السورة.

ثانيًا: اقتصر البحث الأول على مواضع الصبر التي ظهر فيها الابتلاء بالشدة والمعصية، بينما لم يتطرق إلى مواضع الابتلاء بالنعمة والصبر عليه، والذي يتجلى في توليه رعاية أموال الدولة، وتوليه الملك، وكذلك عند تحقق رؤياه وسجود أبويه وإخوته له بعد أن جمع الله شملهم، فهذه مواضع لم يتطرق لها البحث الأول.

ثالثًا: اقتصر البحث الأول على سرد مواضع الصبر وتفسيرها بينما يتمحور بحثي على استنباط معالم التربية على الصبر في سورة يوسف وأوجه الاستفادة منها في الواقع المعاصر.

منهج البحث:

لقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي[1]، والتحليلي[2]، والاستنباطي[3] في هذا البحث عن طريق قراءة آيات قصة يوسف؛ لاستخراج الآيات التي جاء الحديث عن التربية على الصبر، ثُمَّ ترتيبها؛ للوقوف على ما له علاقة مع وضع الآيات في المبحث الخاص بها، وعزوها إلى مواضعها من سورها، مستخدماً كُتُب التفسير وغيرها؛ لتدعيم صحة ما جاء في البحث.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

---

(1) المنهج الاستقرائي: منهج يقوم على حصر كافة الجزئيات والوقائع، وفحصها ودراسة ظواهرها، ثم إعطاء حكم عام بصددها، مستعينًا بالملاحظة والتجربة، وافتراض الفروض وفحصها ودراسة ظواهرها، ثم إعطاء حكم عام بصددها، فَإِن كَانَ الاسْتِدْلَال فِيهَا من استقراء جَمِيع الجزئيات فتَام، وَإِلَّا فناقص. ينظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، (ص 64)، ط 6، دار الشروق، 1416هـ/1996م.

(2) المنهج التحليلي: هو دراسة الأقوال وتحليلها ومناقشتها. انظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، ص 96 –الدار البيضاء، 1997م.

(3) المنهج الاستنباطي: هو الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج، أو بين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات، وذلك عن طريق تحليل الآيات التي تتعلق بالموضوع، ثُمَّ استنباط الفوائد والعِبر والرُّؤى والأفكار من خلالها. ينظر: البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ص 32، جدة، 1394هـ.

المقدمة: احتوت على أهمية الموضـوع وسـبب اختياري له، ومشـكلة البحث، وتسـاؤلاته، والهدف من دراسته، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة «سورة يوسف»، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة «سورة يوسف» من حيث بيان: أسمائها، وسبب نزولها، ومكيها ومدنيها، وعدد آياتها، وترتيبها المصحفي والنزولي، وأهم مقاصدها الإجمالية.

المطلب الثاني: مفهوم الصبر في اللغة والاصطلاح، وبيان أقسامه، وفضله، ومنزلته.

المطلب الثالث: المواضع التي وردت فيها الحديث عن الصبر في «قصة يوسف».

المطلب الرابع: مفهوم التربية الإسلامية.

المبحث الثاني: آثار التربية على الصبر من خلال «قصة يوسف – عليه السلام–»، ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: صـبر يوسـف – عليه السـلام– على حسـد إخوته، وإلقائه في الجب، ورقه وعبوديته، ومفارقة أبيه، وأثره على ضبط النفس البشرية.

المطلب الثاني: صبر يوسف –عليه السلام– على مراودة امرأة العزيز، وكيد النسوة في المدينة، وأثره في ضبط الغرائز الجنسية لدى الشباب والفتيات.

المطلب الثالث: صبر يوسف –عليه السلام– على محنة السجن، وأثره في الدعوة إلى الله.

المطلب الرابع: صـبر يوسـف –عليه السـلام– على توليه زمام الحكم، وأثره في الإعانة وحسـن الإدارة على نجاح الملك، وتخطي الأزمات.

المطلب الخامس: صبر يوسف –عليه السلام– عند لقائه بأخوته؛ وأثره في العفو والصفح عند المقدرة.

المطلب السادس: صبر يعقوب –عليه السلام– على فراق ولديه؛ وأثره في اللجوء إلى الله وقت الشدائد والمصائب.

المطلب السابع: صبر يعقوب –عليه السلام– على مكر أبنائه وعقوقهم.

المطلب الثامن: أوجه الاستفادة من القيم التربوية للصبر من خلال قصة يوسف – عليه السلام– في الواقع المعاصر.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: تشتمل على أهم المصادر والمراجع.

وأسْأل الله العون والسداد؛ كما أسأله أن يجعل هذا العمل صَالحاً، وأن يعينني على إخراجه على الوجه الذي يرضيه عني، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة «سورة يوسف»

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة «سورة يوسف»

أسماؤها: تسمى بسورة يوسف، وهو الاسم الوحيد لها؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنْتُ بِحِمْصَ، فَقَالَ لِي بَعْضُ الْقَوْمِ: اقْرَأْ عَلَيْنَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ سُورَةَ يُوسُفَ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَاللهِ مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ، قَالَ: قُلْتُ: وَيْحَكَ، وَاللهِ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَ لِي: «أَحْسَنْتَ»، فَبَيْنَمَا أَنَا أُكَلِّمُهُ إِذْ وَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَتَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَتُكَذِّبُ بِالْكِتَابِ؟ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أَجْلِدَكَ، قَالَ: فَجَلَدْتُهُ الْحَدَّ"[4].

وجه تسميتها بهذا الاسم ظاهر؛ لأنها مشتملة على قصته (عليه السلام) مع إخوته، ومع امرأة العزيز، ومع ملك مصر في ذلك الوقت[5].

سبب نزولها: ورد في سبب نزول سورة يوسف أمران:الأول: ما جاء عَنْ سَعْدٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ (يُوسُف:3)، فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ (الزُّمَر:23)، الثاني: سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فأنزل الله السورة[6].

---

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَطَلَبِ الْقِرَاءَةِ مِنْ حَافِظِهِ لِلِاسْتِمَاعِ وَالْبُكَاءِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّدَبُّرِ، (551/1 رقم 801)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د: ت).

(5) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادى، (1/ 255)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ/ 1996م، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (197/12)، الدار التونسية، 1984هـ.

(6) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (510/2)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

مكيها ومدنيها:القول الراجح أن سورة يوسف جميعها مكية[7]، ولا التفات إلى قول من قال بأن فيها آيات مدنية؛ لأن هذا القول لا دليل عليه.

قال الآلوسى: (سورة يوسف مكية كلها على المعتمد، وروى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: هي مكية إلا ثلاث آيات من أولها، واستثنى بعضهم رابعة وهي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (يُوسُف: 7)، وكل ذلك واه جدًا لا يلتفت إليه، وما اعتمدناه – كغيرنا– من أنها كلها مكية هو الثابت عن الحبر أي عن ابن عباس، وقد أخرجه النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عنه، وأخرجه الأخير عن ابن الزبير وهو الذي يقتضيه ما أخرجه الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع من حديث طويل يحكي فيه قدوم رافع مكة وإسلامه، وتعليم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إياه هذه السورة، و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ (العَلَق:1)[8].

عدد آياتها: مائة وَإِحْدَى عشرَة آيَة لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف[9].

الترتيب المصحفي: هي السورة الثانية عشرة بعد سورة هود، وقبل الرعد[10].

الترتيب النزولي: هي السورة الثالثة والخمسون، وكان نزولها بعد سورة هود[11].

أهم المقاصد العامة التي اشتملت عليها «سورة يوسف»

الذي يطالع هذه السورة بتدبر، يراها قد اشتملت على أوضح الدلائل، وأنصع البراهين، التي تشهد بأن هذا القرآن من عند الله، فقد قصت علينا قصة يوسف مع إخوته ومع غيرهم بأسلوب مشوق حكيم، يهدى

(7) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، (1/ 203)، ط 1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376هـ/ 1957م، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (1/ 71)، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.

(8) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي (362/6) ط 1، دار الكتب العلمية، 1415هـ.

(9) انظر: البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، (1/ 167)، ت: غانم قدوري الحمد، ط 1، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، 1414هـ/ 1994م، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (473/2)، ط 1، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

(10) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (299/7)، دار نهضة مصر، القاهرة، يناير 1998م.

(11) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري، (440/2)، ط 3، دار الكتاب العربي، 1407هـ.

النفوس، ويشرح الصدور، ويكشف عن الخفايا التي لا يعلمها أحد إلا الله، ويصور أحوال النفس تصويرًا بديعاً معجزاً، وفيما يلي عرض لأبرز مقاصدها:

– بَيَانُ قِصَّةِ يُوسُفَ مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة.

– إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصـــول النبوءات، وهو من أصـــول الحكمة المشرقية.

–العبرة بحسب العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وسكنى بنيه بأرض مصر.

– تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشـــاء من صـــالحي عباده، وتحاســـد القرابة بينهم. ولطف الله بمن يصطفيه من عباده.

– فيها من عبر تاريخ الأمم والحضـارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها، واسـترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل.

– فِي هَذِهِ السُّورَةِ أُسْلُوب خَاص من أساليب إعجاز القرآن؛ وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصـــة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصـــيص العجم والروم، فكان ما في بعضـــها من التطويل على عادة أهل الأخبار من الفرس يموه به عليهم بأنه أشبع للسامع، فَقَدْ كَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَغَيْرُهُ يَفْتِنُونَ قُرَيْشًا بِأَنَّ مَا يَقُولُهُ الْقُرْآنُ فِي شَأْنِ الْأُمَمِ هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ النَّضْرُ يَتَرَدَّدُ عَلَى الْحِيرَةِ فَتَعَلَّمَ أَحَادِيثها، فَكَانَ يُحَدِّثُ قُرَيْشًا بِذَلِكَ وَيَقُولُ لَهُمْ: أَنَا وَاللَّهِ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ مُحَمَّدٍ فَهَلُمَّ أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَـنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ بِأَخْبَارِ الْفُرْس، فجاءت هذه السـورة على أسـلوب استيعاب القصة تحدياً لهم بالمعارضة[12].

– السورة اهتمت اهتماماً واضـحاً بشرح أحوال النفس البشرية وتحليل ما يصـدر عنها في حال رضـاها وغضـبها، وفي حال صـلاحها وانحرافها، وفي حال غناها وفقرها، وفي حال عسـرها ويسـرها، وفي حال صفائها وحقدها.

(12) انظر: التحرير والتنوير، (199/12، 200).

المطلب الثاني: مفهوم الصبر في اللغة والاصطلاح، وبيان أقسامه، وفضله ومنزلته

قبل أن أدلف في بيان "آثار التربية على الصـــبر من خلال ســـورة يوســـف يجدر بي أن أبين مفهوم الصبر، وأقسامه، وطرف من فضله:

مفهوم الصبر لغة: أصل الصَّبْر الحَبْس، وَكُلُّ مَنْ حَبَس شَيْئًا فَقَدْ صَبَرَه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ (الكَهْف: 28)، وَالتَّصَبُّرُ: تَكَلُّفُ الصَّبْرِ[13].

قال ابن فارس: (صَبَرَ) الصَّادُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، الْأَوَّلُ الْحَبْسُ، وَالثَّانِي أَعَالِي الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ جِنْسٌ مِنَ الْحِجَارَةِ؛فَالْأَوَّلُ: الصَّبْرُ، وَهُوَ الْحَبْسُ، يُقَالُ: صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ حَبَسْتُهَا، وَمِنَ الْبَابِ: الصَّبِيرُ، هُوَ الْكَفِيلُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى الْغُرْمِ، يُقَالُ: صَبَرْتُ نَفْسِي بِهِ أَصْبُرُ صَبْرًا، إِذَا كَفَلْتَ بِهِ، فَأَنَا بِهِ صَبِيرٌ)[14].

مفهوم الصبر اصطلاحًا: هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[15].

يقول الراغب: (حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ، وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرًا لا غير، ويُضَادُّهُ الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصدر، ويضادّه الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتمانًا، ويضاده المذل، وقد سمى الله كل ذلك صبرًا، ونبَّه عليه بقوله سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ (البَقَرَة: 177)، وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ (الحَج: 35)، وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ (الأَحْزَاب: 35)[16].

---

(13) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (706/2)، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ/ 1987م، ومختار الصحاح، (ص 172)، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420هـ/1999م، ولسان العرب، (438/4) (ص ب ر).

(14) مقاييس اللغة لابن فارس، (329/3)، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م، (ص ب ر).

(15) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، (ص 16)، ط 3، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1409هـ/ 1989م.

(16) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص 474)، ط 1، دار القلم، بيروت، 1412هـ.

أقسام الصبر: ذكر أهل العلم أن الصبر على ثلاثة أَنواع:

الأول: صَبْرٌ على طاعة الله بالمحافظة عليها، وبرعايتها إِخلاَصًا، وبتحسينها عِلمًا.

الثاني: صبر عن معصية الله بمطالعة الوعيد، وأَحسن منها الصّبر عن المعصية حياءً.

الثالث: صبر على امتحان الله، وأقداره بملاحظة حسن الجزاءِ، وانتظار رَوْح الفَرَج، وتهوِين البلية بِعَدّ أَيادى المِنَن، وتذكُّر سوالف النِّعم. فالأَولان: الصبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث: الصبر على مالا كسب للعبد فيه. والصبر على أَداءِ الطَّاعات أَكمل من الصبر على اجْتِنَاب المحرّمات؛ فإِنَّ مصلحة فعل الطَّاعة أَحَبُّ إِلى الشَّارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أَبغض وأَكره من مفسدة وجود المعصية[17].

فضل الصبر ومنزلته: الطريق إلى الله مليئة بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس؛ ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر، فلا بد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار، ومن هنا تكاثرت النصوص في بيان فضل الصبر، ومدح الصابرين[18] من ذلك قوله: ﴿بَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ (البَقَرَة: 155 – 157)، وقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ (الأَنفَال: 46)، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ (القَصَص: 54).

المطلب الثالث: المواضع التي وردت فيها الحديث عن الصبر في «قصة يوسف – عليه السلام–»، وبيان المراد منها

حتى يكون القارىء على علم بالمواضع الحديث عن الصبر في «قصة يوسف» رأيت أن أقوم بحصرها هنا قبل دراستها، فأقول:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يُوسُف: 18).

(17) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (3/ 381).

(18) أنواع الصبر ومجالاته – مفهومٌ، وأهميَّةٌ، وطرُقٌ، وتحصيْلٌ في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص 20، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي.

الموضع الثاني: قوله سبحانه: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (يُوسُف: 83).

الموضع الثالث: قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يُوسُف: 90).

والمراد من "الصبر" هنا: هو الصبر الجميل لا جزع فيه، ولا شكوى إلى الناس؛ قَالَ سفيان الثَّوْرِيُّ: «ثلاث من الصبر: ألا تُحَدِّثَ بِوَجَعِكَ، وَلَا بِمُصِيبَتِكَ، وَلَا تُزَكِّيَ نَفْسَكَ»[19].

قال الفخر الرازي: قَوْلُهُ تَعَالَى: [فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ] يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى قِسْمَيْنِ مِنْهُ مَا قَدْ يَكُونُ جَمِيلًا وَمَا قَدْ يَكُونُ غَيْرَ جَمِيلٍ، فَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ: هُوَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ مُنْزِلَ ذَلِكَ الْبَلَاءِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَالِكُ الْمُلْكِ وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَى الْمَالِكِ فِي أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مِلْكِ نَفْسِهِ فَيَصِيرُ اسْتِغْرَاقُ قَلْبِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَانِعًا لَهُ مِنْ إِظْهَارِ الشِّكَايَةِ)[20].

المطلب الرابع: مفهوم التربية الإسلامية

التربية: عملية هادفة وفن مرن متطور تحكمه قواعد وقوانين، وهي ترمي إلى تكوين العادات الحسنة بالاستفادة من الغرائز والميول في تحقيق هذا الهدف عن طريق الإرشاد والتدريب، والمحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها، وتنمية مواهبه واستعداداته، ثم توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب جميعًا إلى ما يحقق صلاحها وكمالها اللائق بها[21].

يرى علماء المسلمين أن التربية الإسلامية فلسفة واضحة مستمدة من القرآن والسنة، وهي تتعهد الإنسان بدنيًا وعقليًا وروحيًا، وقد كثر الكلام في تعريفها، وصال العلماء حول مفهومها من منظور الإسلام؛ فقد عرفها بعضهم بأنها "إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة"[22].

---

(19) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (322/4)، ط 1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 1419 هـ، وفتح القدير، للشوكاني، (14/3)، ط 1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، 1414هـ.

(20) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، للفخر الرازي، (431/18، 432)، ط 3، إحياء التراث العربي، 1420هـ.

(21) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلاوي، (ص 17)، ط 25، دار الفكر، 1428هـ، والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، (ص 18).

(22) انظر: التربية وبناء الأجيال في الإسلام، أنور الجندي، ص153، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1975م.

نخلص مما سبق إلى أن "التربية": نظام تربوي متكامل يقوم كل جانب فيه على تعاليم الدين الإسلامي ومفاهيمه ومبادئه ومقاصده، فهي منهج كامل للحياة ونظام متكامل لتربية ورعاية النشء والمجتمع على الأخلاق الفاضلة، والقيم الروحية الرفيعة، وتوازن بين الحياة الدنيا الآخرة[23].

المبحث الثاني: أثر التربية على الصبر من خلال «قصة يوسف – عليه السلام»

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: صبر يوسف – عليه السلام– على حسد إخوته، وإلقائه في الجب، ورقه وعبوديته، ومفارقة أبيه، وأثره على ضبط النفس البشرية

عرضت السورة صورًا امن الابتلاءات التي تعرض لها يوسف –عليه السلام– فواجهها بكل صبر وثبات واعتصام بالله، ومن أمثلة ذلك: "صبره على حسد إخوته، وإلقائه في الجب، ورقه وعبوديته، ومفارقة أبيه".

وتبدأ أولى هذه الابتلاءات بتلك الرؤيا التي رآها يوسف – عليه السلام– وقصها على أبيه يعقوب، ومن شأن صاحب النعمة أن يكون محسودًا من كثير من الناس، وربما أفضى هذا الحسد إلى التنازع والتقاتل، وكما أن الحسد سبب للفساد في الدين، فكذلك هو سبب لفساد الدنيا؛ فلهذه الأسباب كلها خاف يعقوب من حسد بنيه ليوسف، إذا ما قص عليهم رؤياه، ومن عدوانهم عليه، فنصحه بألا يقصها عليهم حتى لا يثير حسدهم ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (يُوسُف: 5).

* **صبره على إلقائه في الجب:** لقد قست قلوب إخوة يوسف، وبلغ الحقد بهم مبلغًا عظيمًا، للدرجة التي أوصلتهم إلى أن يفكروا في التخلص من أخيهم، وهكذا يكون الحسد إذا تسلط على إنسان يورده موارد الهلاك، فيعمى بصره فلا يرى إلا ما يزينه الشيطان له، ويطمس على قلبه فيغلظ حتى على أقرب الناس إليه؛ تشاور إخوة يوسف في قتله ثم انتهى بهم المطاف ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ (يُوسُف: 10).

(23) انظر: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، (ص 18).

قال أبو حيان: "ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَتَضَمَّنُ كَيْفِيَّةَ إِلْقَائِهِ فِي غَيَابَةِ الجب ومحاورته لَهُمْ بِمَا يُلِينُ الصَّخْرَ، وَهُمْ لَا يَزْدَادُونَ إِلَّا قَسَاوَةً. وَلَمْ يَتَعَرَّضِ الْقُرْآنُ وَلَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ لِشَيْءٍ مِنْهَا، فَيُوقَفَ عَلَيْهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ"[24].

ومكث يوسف –عليه السلام– في ظلمات الجب ووحشته ثلاثة أيام وحيدًا لا أنيس ولا جليس[25]، إنه اختبار قوي، وابتلاء شديد، لا يقوى عليه إلا من اجتباه ربه واصطفاه، ولذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فقد قال: رسول الله (ﷺ) «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ»[26]؛ ولكن هل انتابت يوسف حالة من الجزع والفزع؛ لحداثة سنه وقلة، تجاربه؟ لا لم يحدث هذا ولا ذاك، بل لجأ إلى مولاه، إذ لا ملجأ إلا إليه، فبذكره تطمئن القلوب، وتفرّج الكروب، وتزال الخطوب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرَّعْد: 28).

في هذه اللحظة اليائسة يلقي الله في روعة أنه ناج، ويوحي إليه أنه سوف يعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع، وهم لا يشعرون بأن الذي يواجههم هو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب وهو صغير، تذكر مقاله أبيه يعقوب: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (يُوسُف: 6)، وبعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب؛ إذ برفقة تسير من قبل مدين إلى مصر، فأخطئوا الطريق فنزلوا قريبًا منه، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة. وقيل: كان ماؤها ملحًا فعذب حين ألقى فيه يوسف فَأَرْسَلُوا رجلاً يقال له مالك بن ذعر الخزاعي؛ ليطلب لهم الماء، فتعلق فيه يوسف وخرج، فنادى البشرى هذا غُلامٌ، فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به، وكان إخوة يوسف على مقربة منهم، فاشتراه السيارة منهم؛ لأن جل مقصودهم هو تغييبه عن وجه أبيه، ولم يكن لهم مطمع في أخذ ثمنه؛ ولذا قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه[27]: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗ

(24) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، (247/6)، دار الفكر، بيروت،1420هـ.

(25) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، (228/3)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

(26) أخرجه أحمد في المسند برقم (27079)، عن أبي عبيدة بن حذيفة (10/45)، وقال المحقق: "هذا إسناد حسن"، ت: شعيب الأرنؤوط، ط 1، الرسالة، 1421هـ/ 2001م، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 292/2)، "إسناد أحمد حسن"، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ/ 1994م.

(27) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري، (452/2) ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ (يُوسُف: 19–20).

صبره على رقه وعبوديته: لا يوجد ابتلاء أشد على الحر من ذل النفس، وتقييد حريته بالاستعباد والقهر، فها هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن خليل الرحمن سليل الأنبياء، يباع ويشترى كسائر العبيد بعد الشرف والرفعة والسيادة، لكنها إرادة الله، ولن يكون إلا ما أراده ودبره ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ (الإنسان: 30)، فالله يبتلي أنبياءه ليعدهم للمهام العظيمة التي تنتظرهم، والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا الأشداء من الرجال الذين عركتهم المصائب، فصمدوا لها، وابتلوا بالويلات فصبروا عليها، ومع كل هذا كان –عليه السلام– متسلحًا بالصبر؛ لأنه معين لا ينضب، وزاد لا ينفد، وكيف يجزع أو ييأس من كان الله معه! ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ (النَّحل: 127 – 128).

لما ذهبت به السيارة إلى مصر، وقفوه في سوقها يعرضونه للبيع، فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنَه مسكًا، ووزنه ورقًا، ووزنه حريرًا، فاشتراه بذلك الثمن رجل يقال له: قطفير، وكان أمين فرعون وخازنه، وكان مؤمنًا[28]؛ عن عبد الله بن مسعود، قال: «إِنَّ أَفْرَسَ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: الْعَزِيزُ حِينَ تَفَرَّسَ فِي يُوسُفَ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي رَأَتْ مُوسَى فَقَالَتْ لِأَبِيهَا: يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[29].

المطلب الثاني: صبر يوسف –عليه السلام– على مراودة امرأة العزيز، وكيد النسوة في المدينة، وأثره في ضبط الغرائز الجنسية لدى الشباب والفتيات

انتقل يوسف –عليه السلام– إلى قصر العزيز؛ ليقوم بالخدمة فيه، وكان قد أوصى عزيز مصر أهله بإكرام وفادته، والإحسان إليه؛ لأنه تفرس فيه الفلاح والنفع، ونجابة العقل، فقد خصه الله –عز وجل– بشطر الحسن، فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَالَ: في حديث الإسراء: «فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ ...»[30]، ولما بلغ يوسف منتهى شدته وقوته في شبابه وحَدِّه أعطاه الله حينئذ الفهم

(28) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (424/2)، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ.

(29) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، في مناقب عمر (96/3 رقم 4509)، وقال: "هذا إسناد صحيح"، وقال الذهبي: "صحيح".

(30) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ (ﷺ) إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، (145/1 رقم 162).

والعلم[31]، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ٢٢﴾ (يُوسُف: 22)، كل ذلك يتم ليوسف –عليه السلام– على مرأى ومسمع من امرأة العزيز، فتزداد إعجابًا به، وتنظر إليه بعين تخالف العين التي نظر بها إليه زوجها، فتتعلق بحبه، ويُبتلى يوسف بنوع خاص من الابتلاءات، قلّ من الناس من ينجو منه، إنه ابتلاء الشهوة، ابتلاء الإغواء، وفتنة النساء؛ فعن أسامة بن زيد عن النبي (ﷺ) قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[32].

لقد بدأت رحلة جديدة من الابتلاءات يتعرض لها يوسف –عليه السلام– تتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها آنذاك، وهي مرحلة ريعان الشباب، فبدأت امرأة العزيز بالمراودة ثم انتقلت التحايل بالتلميح ثم أخيرًا التصريح والكشف عن المراد ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ٢٣﴾ (يُوسُف: 23).

وقد عبر القرآن عن حالها معه بلفظ «المراودة» الذي يقتضي التكرار والملاطفة في السوق إلى غرض؛ كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أى: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحمل لمواقعته إياها، ويشبه أن يكون من راد يرود إذا تقدم لاختبار الأرض والمراعي، فكان المراود يختبر أبدا بأقواله وتلطفه حال المراود من الإجابة أو الامتناع، فما وجدت منه إلا الإباء خوفاً من الله، وهذا أمر ميسور لها لقربه منه، فهي استعملت دواعي الغواية الثلاث، وجاهرت بها والتي تمثلت في المراودة، وتغليق الأبواب، وقولها: هيت لك[33]، فامتنع يوسع عن ذلك أشد الامتناع؛ وقابل تصرفها بالعفاف ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ٢٣﴾ (يُوسُف: 23)؛ وذلك ليثبت القرآن الكريم أنه أعتصم بالله، واستجار به من هذا الذي تدعوه إليه، ويخشى خيانة الأمانة، فسيده قد أحسن إليه فلا يقابل ذلك بِالْفَاحِشَةِ فِي أَهْلِهِ، تلك كانت أسلحة يوسف – عليه السلام– في تلك المحنة العصيبة[34].

إن موقف يوسف –عليه السلام– مع امرأة العزيز؛ لهو أعظم درس في تربية الشباب خاصة الغُراب الغرباء الذي يقطنون في أماكن نائية عن أسرهم؛ لظروف العمل أو الدراسة أو غيرها على الطهر

(31) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير، (21/15: 23) ت: أحمد محمد شاكر، ط 1، الرسالة، 1420هـ.

(32) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، (8/8 رقم 5096)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الذكر والدعاء والتوبة، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (2097/4 رقم 2740).

(33) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (454/2، 455)، والمحرر الوجيز، (232/3).

(34) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (32/16)، وتفسير القرآن العظيم، (325/4).

والعفاف، والاعتصام بالله والاستعاذة به والفرار إليه، من اتباع دواعي الشيطان، والاستجابة لخدعه وألاعيبه، كما ينبغي على الإنسان ألا يعتمد على الثقة الزائدة بالنفس والاغترار بها، وفي هذا يقول ابن الجوزي: (قرأت سورة يوسف فتعجبت من مدحه على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملت خبيئة الأمر، فإذا هي مخالفة للهوى المكروه، فقلت واعجبًا! لو وافق هواه من كان يكون؟ ولما خالفه، لقد صار أمرًا عظيمًا، تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة، فيا له عزًا وفخرًا، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب)[35].

يعظم الابتلاء بيوسف –عليه السلام– حيث وصل الخبر إلى مسامع النسوة في المدينة؛ فاعتقدن أن امرأة العزيز قد اقترفت فعلة شنعاء حمقاء لا نظير لها، ولا يجب أن تحدث من مثلها وهي مَنْ هي؟ هي زوج عزيز مصر! وهو مَنْ هو؟ هو خادمها المطيع! فقد ألمت إذن بأمر فظيع وشنيع، وباتت في ضلال وخسران مبين؛ فجعلن يلمنها بأن هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها عن نفسه، فحبه قد بلغ من قلبها مبلغاً عظيماً، فأرسلت تدعوهن إلى منزلها للضيافة[36]، قال تعالى حكاية عنهن: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ (يُوسُف: 30 – 31).

لقد نجحت امرأة العزيز في الكيد لهن، وأحست بانتصارها على بنات جنسها، اللائي لمنها في حبها ليوسف، فقالت لهن على سبيل التشفي، وبدون استحياء ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ (يُوسُف: 32)؛ كما استعانت امرأة العزيز على يوسف –عليه السلام– بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إياهن، وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه، فما كان منهن إلا أن اشتركن في مراودته، وأصبح فريسة لكيدهن كلهن[37]، فلما رأى ذلك منهن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ (يُوسُف: 33).

(35) صيد الخاطر لابن الجوزي، (227/1، 228)، ط 1، دار القلم، دمشق، 1425هـ/ 2004م.

(36) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص 396)، ط 1، مؤسسة الرسالة1420هـ/ 2000 م.

(37) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، (425/6) ط 1، دار الكتب العلمية، 1415 هـ.

المطلب الثالث: صبر يوسف –عليه السلام– على محنة السجن، وأثره في الدعوة إلى الله

إن فعل امرأة العزيز لم يُبق ليوسف– عليه السلام– سوى خيارين: إما أن يستجيب لرغبتها، ويطاوعها في أمرها، ويقبل إغراءها، ويعاشرها ويستمتع بها، وعندها تفتح له أبواب الدنيا ومتعها، وملذاتها وخيراتها، فيعيش مترفاً منعمًا؛ لأنها امرأة المسؤول الأول في البلاد، وهي قادرة على تقديم كل الخيرات له؛ وإما أن يصبر على ترفعه واستعصامه، ويثبت على موقفه، ويترفع عن معاشرتها، ويحافظ على عفته وطهارته، وعندها سيدفع الثمن غاليًا حيث سيفقد كل المزايا، وسيحل به البلاء والنكال، والذل والهوان، حيث ستأمر بسجنه، وهي قادرة على ذلك وعلى تلفيق أية تهمة له!.

يتعرض هنا يوسف –عليه السلام– لنوع جديد من المصائب، بالتهديد والسجن، وقلة الطعام، وصحبة المساجين حيث يترامى على مسامع يوسف هذا التهديد، قال تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ (يُوسُف: 32)، وفي هذا التهديد ما فيه من الدلالة على ثقتها من سلطانها على زوجها، وأنه لا يستطيع أن يعصى لها أمرًا[38].

ماذا يفعل يوسف –عليه السلام–، وأي السبيلين يختار؟ فيلجأ –عليه السلام– إلى ربه مستجيرًا به، ومحتميا بحماه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (يُوسُف: 33).

فاختار –عليه السلام– طريق السجن مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ وَالشِّدَّةِ عَلَى مَا يَدْعُونَهُ إِلَيْهِ، فهو فَضْلَ مُقَاسَاة السِّجْنِ لما عَلِمَ أَنَّهُ لَا مَحِيصَ مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، فصَارَ السَّجْنُ مَحْبُوبًا إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يُخَلِّصُهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ فَهِيَ مَحَبَّةٌ نَاشِئَةٌ عَنْ مُلَاءَمَةِ الْفِكْرِ، كَمَحَبَّةِ الشُّجَاعِ الْحَرْبَ[39]، وصرف الله عنه كيدهن: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٤﴾ (يُوسُف: 34).

إن مما يثير الإعجاب حقاً أن محنة السجن التي مر بها يوسف –عليه السلام– لم تعقه لحظة عن دعوته إلي الإسلام الخالص القائم على توحيد الله، وتنزيهه عن كل وصف لا يليق بجلاله حتى في أشد ساعات الابتلاء صعوبة، ويذكر لنا القرآن رده على زميليه في السجن، وكيف أنه أقام الأدلة على صحة ما يدعو إليه، وفسر لصاحبيه في السجن رؤياهما تفسيرًا صحيحًا حينما رأى فيهما قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظنَّ الحسن، ورأى ذلك فرصة فانتهزها، فدعاهما إلى الله قبل أن يعبر رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولًا أن الذي أوصله إلى الحال التي رأياه فيها من الكمال

(38) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (355/7).

(39) التحرير والتنوير، (265/12).

والعلم، إيمانه بالله، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه[40] ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠﴾ (يُوسُف: 37 – 40).

وبعد فترة من الزمن احتاج الملك إلى من يؤول له رؤياه، فتذكر حينها ذلك الرجل الذي نجا، ولكن الأصالة أبت عليه الخروج بهذه الطريقة حتى تعلن براءته، ونصاعة صفحته، عندها فقط رضي أن يخرج عزيزًا بريئًا، فصبر حتى تم مراده؛ ولذا قدم سؤال النسوة، وفحص حالهن؛ لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلمًا، فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره[41]: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ٥٠﴾ (يُوسُف: 50)؛ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، قَالَ: "وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ"[42].

من خلال ما سبق تبين لنا أن يوسف –عليه السلام– قد آثر العيش في السجن على أن يرتكب الفاحشة، بل قام بواجبه بدعوة الخلق إلى التوحيد الخالص، يعلم الخلق كيف يواجهون الشهوات التي تعترض طريقهم، وأنه لا سبيل للخلاص منها إلا بالإيمان بالله والاعتصام به سبحانه.

المطلب الرابع: صبر يوسف –عليه السلام– على توليه زمام الحكم، وأثره في الإعانة وحسن الإدارة على نجاح الملك، وتخطي الأزمات

رأى ملك مصر رؤيا عظيمة، اضطرب لها، وتوقع الخطر أن يصيب البلاد: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٤٣﴾ (يُوسُف: 43)، فيعجز الملأ وأهل الحل أن يفسروها تفسيرًا واضحًا: ﴿قَالُوٓاْ

(40) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص 407).

(41) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (166/3)، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.

(42) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، بَابُ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٥١ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ (الحِجْر: 51 –52)، (147/4 رقم 3372)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ (133/1 رقم 151).

أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ (يُوسُف: 44)، وبينما هم في حيرة إذ بالساقي الذي نجا يدلي بدلوه فيقول لهم: "أنا أخبركم بتأويل ذلك بالتلقي ممن عنده علمه لا من تلقاء نفسي؛ ولذلك لم يقل: "أفتيكم في ذلك"، ولم يصرح به حرصاً على أن يكون هو المرسل إليه فإنه لو ذكره فلربما أرسلوا غير يوسف –عليه السلام– فأرسلوه فأتاه وقص عليه الرؤيا، وعبرها له[43] بل زاد على ذلك بتقديم النصائح للقوم لحسن التخطيط لمواجهة المرحلة القادمة، وذلك ليظهر لهم خبرته وعلمه أولاً، ليعرفوا أهليته وفضله؛ وبذلك تنتهي محنته القاسية في السجن، وهذا ما فهمه عنه الملك، فقام باستدعائه، وأدى ذلك إلى تسلمه زمام الأمور، ولم يفعل ذلك لمنفعته الشخصية، وإنما ليوظف خبرته ومهارته في خدمة الناس، والخروج بهم من الخطر القادم، ليعرفوا قيمة النبوة، ويرغبوا في الإيمان بالله، والإقبال عليه![44].

أعجب الملك بيوسف –عليه السلام–، وعرف أنه رجل "المرحلة القادمة"، المؤهل لقيادة البلاد في سنين القحط خاصة أنه تبين له عذره، وعرف أمانته، فطلب أن يجعله من خُلصائه[45] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ﴾ (يُوسُف: 54)، رد يوسف على تكريم الملك له قائلاً: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ (يُوسُف: 55).

إن المهمة التي يُقدم عليها يوسف –عليه السلام–، تتطلب ممن يليها أن يتمتع بالأمانة والعفة، وأن يتمتع بالعلم والتخطيط، والأمران متوفران في يوسف على أتم وجه، وعندما نقف على طلبه تولي شؤون البلاد، فإننا نراه يقوم بتضحية كبيرة؛ ليحسن إدارة أمور البلاد الاقتصادية في سنوات المحنة القادمة، ولم يكن يوسف يطلب لشخصه، وهو يرى إقبال الملك عليه، إنما كان حصيفًا في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة، وليكون مسؤولاً عن إطعام شعب كامل، وشعوب تجاوره، طوال سبع سنوات لا زرع فيها ولا ضرع[46].

إن فتنة المنصب من أكبر الفتن التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان، وفيها يظهر معدن الرجال، ومدى إيمانه وثابته لكن يوسف –عليه السلام– رغم المحن التي تعرض لها ما كان من ذلك الصنف المتهالك على الدنيا، بل إن قلبه معلق بالآخرة؛ فلم تهزه فتنة الجاه على الاستسلام لله، والاعتراف بنعمه عليه؛ تخيل لو أن مظلماً لبث في السجن بضع سنين ثم مكنه الله زمام الأمور ماذا يفعل، وكيف يتصرف؟! إنه يوسف الذي صبر على ما أتاه الله من الملك، وتعامل معه بكل حكمة ووقار؛ ولذا كافأه الله على

---

(43) انظر: روح المعاني، (443/6).

(44) انظر: القصص القرآني – عرض وقائع وتحليل أحداث، (159/2).

(45) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (147/16).

(46) انظر: القصص القرآني – عرض وقائع وتحليل أحداث، (181/2).

صبره وتقواه بما يستحقه من خير ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يُوسُف: 56)، فكل مكان أراد أن يتخذه منزلاً لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه[47] ومع ذلك كان تصرفه وفق العدل والرأفة بالخلق، وقد عمل بجد وتعب طوال فترة توليه الملك، وصبر على ما لاقى من مصاعب في سبيل نجاة البلاد والعباد من سنيين الجفاف، وقد سئل الشافعي يومًا: "أيما أفضل الصبر، أو المحنة، أو التمكين؛ فقال الشَّافِعِي: "التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله امتحن إبراهيم ثم مَكَّنه، وامتحن موسى ثم مَكنه، وامتحن أيوب ثم مَكنه، وامتحن سليمان عليهم السلام ثم مَكنه، وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾"[48].

المطلب الخامس: صبر يوسف عند لقائه بأخوته؛ وأثره في العفو والصفح عند المقدرة

كان أهل مصر قد ادخروا من السنين الخصيبة، فكان الناس يمتارون من يوسف، فوقف بشموخ بعد أن مكن الله له في الأرض يستقبل وفود المحتاجين من كنعان بعد أن أصابهم القحط، يعطيهم الطعام والمال، ووقف إخوته أمامه، فعرفهم ولم يعرفوه هم؛ لطول العهد، ومفارقته إياهم في سن الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم؛ لقلة فكرهم فيه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك عن حاله التي فارقوه عليها طريحًا في البئر، ولم يقع لهم –بسبب ملكه ولسانه القبطي– ظن عليه حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم، ولأن الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾ (يُوسُف: 58)، ثم أمرهم يوسف أن يحضروا بنيامين: ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ (يُوسُف: 59)، ثم أراد يوسف أن يدبر حيلة؛ ليلتقي بهم جميعًا: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾ (يُوسُف: 70).

وقد ظهر صبره –عليه السلام– في اللقاء الأول حينما: "قالوا: نحن أبناء رجل صديق، وكنا اثني عشر، ذهب واحد منا في البرية، وبقي أصغرنا عند أبينا، وجئنا نحن للميرة، وسقنا بعير الباقي منا ...، وسئلوا عن أخبارهم، فكلما صدقوا قال لهم يوسف: صدقتم، فلما قالوا: وكان لنا أخ أكله الذئب، طن يوسف

(47) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (119/2)، ط 1، دار الكلم الطيب، 1419هـ.

(48) تفسير الإمام الشافعي، (978/2)، ط 1، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1427هـ.

الصاع، وقال: كذبتم، ثم تغير لهم، وقال: أراكم جواسيس، وكلفهم سوق الأخ الباقي ليظهر صدقهم في ذلك"[49].

لقد أخفى يوسف –عليه السلام– منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله له في ذلك، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر فرج الله من ذلك الضيق؛ وقد ظهر صبره خلال لقائهم بهم مرة أخرى حينما اتهموه بالسرقة[50]﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾ (يُوسُف: 77)، فهو –عليه السلام– صبر على مقالتهم، وأضمرها فى نفسه ولم يجبهم عنها، وكظم غيظه، ولم يظهر لهم تأثره مما قالوه؛ للمحافظة على علاقته بأخوته، وإبقاء لصلة الرحم[51].

ويبدو أن يوسف –عليه السلام– قد تأثر بما أصابهم من ضر وضيق حال، تأثرًا جعله لا يستطيع أن يخفى حقيقته عنهم أكثر من ذلك، فبادرهم بقوله: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ (يُوسُف: 89).

إن الإنسان قد يعجز عن أن ينال من عدوه لكن حينما يظفر بعدوه، ويصبر عليه؛ فيعفو ويتجاوز عنه، ويبحث عما عند الله من الجزاء؛ فإن هذا أرفع الأخلاق، ولذلك فإن يوسف رغم ما فعل به إخوته من إلقائه في البئر، والمخاطرة بحياته، ثم أذية أبيه بفقد يوسف– عليه السلام– هذه المدة الطويلة حتى ضعف بصره، عفا عنهم رغم قدرته على إنزال أشد العقوبات بهم، وقابل إساءتهم بالإحسان: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يُوسُف: 92)؛ وقد أحسوا بالتأنيب فقالوا على سبيل الخجل[52]: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ (يُوسُف:91)، لكن يوسف لم يشدد عليهم، ولم يعيرهم، ولم يكتف بذلك بل قام بإيوائهم: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ (يُوسُف: 93)، ولما التقى بهم لم يذكرهم بفعلتهم: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ (يُوسُف: 100).

---

(49) انظر: المحرر الوجيز، (257/3، 258)، ومفاتيح الغيب، (478/18).

(50) انظر: تفسير القرآن العظيم، 350/4.

(51) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص 402).

(52) انظر: فتح القدير، (62/3)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (258/9) ط 2، دار الكتب المصرية، 1384هـ/ 1964م.

يقول السعدي: "﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي. فلم يقل: "جاء بكم من الجوع والنصب"، ولا قال: "أحسن بكم" بل قال: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ فلم يقل "نزغ الشيطان إخوتي" بل كأن الذنب، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة)[53].

من خلال ما سبق يظهر لنا أن الصبر والعفو عند المقدرة هو أفضل طريق يستطيع أن يكسب فيه المرء القلوب، ولذلك نبينا صلى الله عليه وسلم لما ظفر بأهل مكة يوم الفتح، وكان يستطيع أن يقطع رءوس الذين آذوه لكنه عفا عنهم صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث:«يا معشر قريش ما تقولون؟» قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول قالوا مثل ذلك، قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يُوسُف: 92)؛ فخرجوا فبايعوه على الإسلام»[54].

المطلب السادس: صبر يعقوب –عليه السلام– على فراق ولديه؛ وأثره في اللجوء إلى الله وقت الشدائد والمصائب

مر يعقوب –عليه السلام– بمواقف كثيرة استعدت منه وجوب التحلي بالصبر، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: صبر يعقوب في فقد يوسف –عليهما السلام–: بدأت السورة بمقدمة يسيرة عن أصل المشكلة، إخوة متنافسون، شعورهم بحب الأب لأحد أبنائه، وبسرعة يتخذ القرار قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ (يُوسُف: 8– 10)، ووقف الأبناء أمام أبيهم معاتبين: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ١٢﴾ (يُوسُف: 11–12).

---

(53) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص 405).

(54) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، 154/10، رقم 11234، والبيهقي في السنن الكبرى، 199/9، رقم 18275، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م.

ثانيًا: صبر يعقوب –عليه السلام– في فراق بنيامين: روي: "أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات، وضبط الغلات، حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشأم ونواحيهما، وتوجه إليه الناس فباعها أولًا بالدراهم حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً ثم عرض الأمر على الملك فقال: الرأي رأيك، فأعتقهم ورد عليهم أموالهم، وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه –غير بنيامين– إليه للميرة، فلما دخل إخوة يوسف عليه عرفهم، ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه، وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه[55].

وهنا تبدأ رحلة الصبر حيث مر يعقوب –عليه السلام– في فراق ابنه الثاني بنيامين بأمرين: الأول: خشيته على فراق بنيامين مسبقاً: عند رجوع إخوة يوسف بدأوا يردون أباهم يعقوب كي يرسل معهم بنيامين مع تيقنهم بمحبة أبيهم له، وعدم صبره عن البعد عنه؛ فهو الذي يتسلى به عن فراق يوسف قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ (يُوسُف: 63)، فأجابهم يعقوب إجابة الأب المكلوم الذي لم يبرأ جرحه الأول في فقد يوسف: ﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يُوسُف: 64)، أي: قال يعقوب لأولاده بعد أن طلبوا منه بإلحاح إرسال أخيهم معهم، وبعد أن تعهدوا بحفظه: أتريدون أن أأتمنكم على «بنيامين»، كما ائتمنتكم على شقيقه يوسف من قبل هذا الوقت، فكانت النتيجة التي تعرفونها جميعاً، وهي فراق يوسف لي فراقاً لا يعلم مداه إلا الله؟!! لا، إننى لا أثق بوعودكم، فالاستفهام للإنكار والنفي[56]. ولكن يعقوب مع كل هذا التحريض، لم يستجب لهم إلا على كره منه، واشترط لهذه الاستجابة ما حكاه القرآن: ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦﴾ (يُوسُف: 66)، ولما قدموا على يوسف ومعهم أخوه «بنيامين» وأدخلهم منزل ضيافته وأفاض عليهم، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له، وأطلعه على الخطة، وتمت بعون الله[57].

الثانية: صبر يعقوب –عليه السلام– في فراق بنيامين: لما رجع الإخوة إلى أبيهم، ظل يتفحص وجوههم باحثاً عن ابنه بنيامين، فأخبروه بما وقع من حال السرقة، وما ترتب عليها من احتجاز الملك له

(55) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (168/3).

(56) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (389/7).

(57) تفسير القرآن العظيم، (400/4).

واســـترقاقه له: ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَـــرَقَ وَمَا شَـــهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾ (يُوسُف: 81).

المطلب السابع: صبر يعقوب –عليه السلام– على مكر أبنائه وعقوقهم

إن من المظاهر التي صـورتها قصـة يوسـف صـبر يعقوب – عليهما السـلام– صـبره على مكر أبنائه وعقوقهم له، ويتجلى ذلك واضـــحاً في مكيدتهم التي دبروها ليوســـف كي يبعدوه عنه حيث اختلقوا كذبًا قصة الذئب حتى قال العلماء: "كأنه لقنهم الحجة والعذر الذي سيعتذرون به كذبًا، وذلك حين حذرهم من الذئب"[58]، فلم يرحموا قلبه حين أتوه بقميص يوســـف، فأي عقوق هذا، وأي قســـوة تلك التي جعلتهم يحرمون أباهم من فلذة كبده ابنه القريب إلى قلبه حيث فرقوا بينه وبين أبيهم دون أدنى شـــفقة على هذا الوالد الذي عاش في ألم الحزن زمناً طويلاً؛ جراء فعلتهم الشنيعة.

كان الأولى من هؤلاء الأولاد وهم أبناء نبي أن يحســـنوا معاملة أبيهم وأخيهم بدل هذا العقوق، ومع ذلك لم نر من يعقوب تجاهم إلا الصـبر والسـلون؛ فلم يتبرأ منهم، ولم يطردهم، بل اكتفى بقوله لهم كما حكاه القرآن عنه: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (يُوسُف: 83).

ثم بعد ذلك يخاطبهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يُوسُف: 87).

طمع يعقوب في يوسف –عليهما السلام–، فقال لبنيه اذهبوا إلى الموضـع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به، والتمسـوا يوسـف وتعرَّفوا من خبره[59]، وتأمل الخطاب فهو يسـتثير فيهم البنوة "يا بني": وكأنه يقول لهم: ستبقون أبنائي مهما صـدر منكم، ثم يدعوهم إلى البحث عن أخويهما يوسـف وبنيامين، وينصـحهم بعدم القنوط من رحمة الله، ولسـان حاله يطلب لهم الهداية، ويتمنى أن تغرس في نفوسـهم الرحمة والحب تجاه أخويهما، وتأمل "فَتَحَسَّسُوا": التحسس طلب الشـيء بالحواس السـمع والبصـر، وإنما لم يذكر الولد الثالث؛ لأنه بقي هناك اختيارا منه، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه[60]، ما كل هذا الصبر الجميل من هذا النبي الكريم، والأب الحليم؟! إنه صـبر يلين له الحديد، وتتصـدع له الحجارة الصـماء، ولم ينس أن

(58) انظر: مفاتيح الغيب، (426/18).

(59) جامع البيان في تأويل القرآن، (232/16).

(60) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، (394/1)، ط 1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ.

يذكرهم بالصبر، وبقدرة الله على إفاضة الروح وسنته في إفاضة اليسر مع العسر، لا سيما في حق من أحسن الظن به[61].

المطلب الثامن: أوجه الاستفادة من القيم التربوية للصبر من خلال قصة يوسف –عليه السلام– في الواقع المعاصر

في هذا المطلب سأعرج سريعًا على بعض أوجه الاستفادة من القيم التربوية للصبر من خلال قصة يوسف – عليه السلام– في الواقع المعاصر، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: في موقف مكر النسوة نلمح أمرين تربويين، هما: الأول: الصبر في البعد عن رفقة السوء: الصحبة السيئة من أسباب الوقوع في الفواحش، ألا ترى أن امرأة العزيز لما انتشرت هذه الفضيحة بين النساء ماذا فعلت النساء اللاتي كن حولها؟ شجعنها على ذلك وذهبن إلى يوسف–عليه السلام– يطلبن منه أن يرضخ لكلامها، ولما رأينه لم يصبرن على جماله؛ فحززن أيديهن بالسكين، ولم يشعرن بذلك، وكن يحسبن أنهن يقطّعن طعاماً[62]؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١﴾ (يُوسُف: 31).

الثاني: الصبر في البعد عن نشر الإشاعات حتى تخمد وتموت:لما علمت النسوة بأمر امرأة العزيز: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (يُوسُف: 30)، ووصل الخبر إلى نسوة في المدينة فتحدثن به، وقيل: كانت أطلعتهن على ذلك، واستكتمتهنَّ سرّها فأفشينه عليها[63]، فهي قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهنَّ متكئات، والسكاكين في أيديهنَّ أن يدهشن عند رؤيته، ويشغلن عن نفوسهنَّ، فتقع أيديهنَّ على أيديهنَّ فيقطعنها؛ لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده، أو أتكأن على مجلس طعام؛ لأنهم كانوا يتكؤن للطعام والحديث كعادة المترفين، وآتتهنَّ السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن[64].

ثانيًا: في حادثة السجن نلمح التالي: الأول: الصبر على البلاء وعدم الاعتماد على الغير: نلحظ أنه عندما اعتمد يوسف –عليه السلام– وتعلق بمخلوق وهو الذي ظن أنه ناجٍ منهما، ولم يستعن بالله أولًا؛ فعاقبه الله بذلك النسيان: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ٤٢﴾ (يُوسُف: 42).

---

(61) محاسن التأويل للقاسمي، (212/6)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.

(62) انظر: زاد المسير في علم التفسير، (436/2).

(63) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (238/3).

(64) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (463/2).

الثاني: الأناة، وضبط النفس عند حصول النصر حتى تتكشف الحقائق:وهذا واضح عند امتناع يوسف عن الخروج من السجن حين طلب منه ذلك حتى تثبت براءته حيث طلب من الساقي أن يحقق الملك بنفسه في واقعة امرأة العزيز حتى يتبيَّن له أني مظلوم في حبسي، أو ظالم؛ فالله عالم بما كان منهن(65).

الثالث: الصبر وقت المحن، وعدم غلق باب اليأس، وفتح باب العمل على مصراعيه: يوسف –عليه السلام– وهو في السجن وظلماته لم يمنعه ذلك من العمل، والدعوة إلى الله وتبليغه دينه، ولم يرض أن يقعد ويأس بحجة أنه مظلوم، وهكذا العبد يصبر ولا يتخذ من البلايا سبباً للإحباط والإنزواء عن الخلق، بل يكد وتعب حتى يجعل الله له مخرجاً؛ وكلما كان الشيء يُهم المرء، بذل واجتهد فيه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات على ما أعان ويسر من إتمام هذا البحث المتواضع، وبعد، ففي ختام هذا البحث، أسجل النتائج التالية:

أولًا: بلغت المواضع التي ورد فيها الحديث عن الصبر في «قصة يوسف –عليه السلام–»، ثلاثة مواطن.

ثانيًا: تعددت صور الفتن والابتلاءات التي تعرض لها يوسف –عليه السلام– وتنوعت من غربة إلى فتنة الشهوات إلى السجن إلى فتنة الجاه والسلطان لكنه واجهها بشيء واحد وهو الثبات على أمر الله تعالى والصبر على الابتلاء.

ثالثًا: لم تحمله الغربة والفراق والغياب عن أبويه على الانحراف عن أمر الله تعالى، والميل عن الحق، ولم تحمله على أن يكون ناقمًا على المجتمع، كارهًا من حوله من الخلق.

رابعًا: من أعظم دروس السورة في تربية الشباب قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، خاصة العُزاب الغرباء؛ ففيها نموذج الفتى المؤمن الذي يستمسك بالطهر والعفاف، والاعتصام بالله، والفرار إليه، من اتباع خدع الشيطان وألاعيبه، وكيد النساء وفتنتهن، حتى إنه آثر السجن على أن يرتكب الفاحشة.

خامسًا: لم تكن محنة السجن التي تعرض لها يوسف –عليه السلام– عائقة عن دعوته إلى توحيد الله، وملة إبيه إبراهيم –عليه السلام–.

(65) بحر العلوم، للسمرقندي، (196/2)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ/ 1993م.

سادسًا: من أكبر الفتن التي يتعرض لها المؤمن فتنة المنصب والجاه، ويوسف –عليه السلام– ثبت أمام فتنة المنصب، وقام بها لله تعالى، أمينًا عادل رحيمًا، فصبر على ما أتاه الله من الملك، وتعامل معه بكل حكمة ووقار، فلم تغيره النقلة من السجن إلى الملك!

سابعًا: عظيم حلم يوسف –عليه السلام– بإخوته مع جسيم ما فعلوه به من إلقائه في البئر، والمخاطرة بحياته، ثم ما تتابع على يوسف –عليه السلام– من الابتلاءات التي كانت بسببهم، فعفا عنهم رغم قدرته على إنزال أشد العقوبات بهم، فقابل إساءتهم بالإحسان في أبهى صوره ومعانيه.

ثامنًا: عاقبة التقوى والصبر الحميدة، فإنها سبب تمكين يوسف –عليه السلام–، وحسن عاقبته.

تاسعًا: اشتملت قصة يوسف –عليه السلام– على العديد من القيم التربوية للصبر، ومنها: الصبر في البعد عن رفقة السوء، والصبر في البعد عن نشر الإشاعات، والأناة، وضبط النفس عند حصول النصر حتى تتكشف الحقائق، وعدم غلق باب الأمل، وفتح باب العمل على مصراعيه، والرفق واللين مع الآخرين وقت المحن، والصبر على كتمان النعمة حتى تكتمل.

ختامًا: أوصي جميع الباحثين والباحثات بضرورة النظر في باقي القصص القرآني لاستخراج القيم التربوية كالصدق وحسن الإدارة، واستخراج المقاصد التربوية، وربطها بالواقع.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، الدار البيضاء، 1997م.

الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت: 685هـ)، ط 1، دار إحياء التراث العربي، 1418هـ.

البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، جدة، 1394هـ.

بحر العلوم، السمرقندي (ت: 373هـ)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ/ 1993مـ.

البحر المحيط في التفسير، أبي حيان الأندلسي، (ت: 745هـ)، دار الفكر، بيروت،1420هـ.

البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت794 هـ)، ط 1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376هـ/ 1957م.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ/ 1996م.

البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، ت: غانم قدوري الحمد، ط 1، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، 1414هـ/ 1994م.
تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت: 393هـ)، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ/ 1987م.
التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية، 1984هـ.
تفسير الشافعي، ط 1، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1427هـ.
تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت: 774هـ)، ط 1، دار الكتب العلمية، 1419هـ.
التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط 1، دار نهضة مصر، القاهرة.
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ/ 2000م.
جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، ت: أحمد شاكر، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ.
الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، ط 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ.
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، آلوسي، ط 1، دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت 597هـ)، ط 1، دار الكتاب العربي، 1422هـ.
فتح القدير، الشوكاني (ت 1250هـ)، ط 1، دار ابن كثير، 1414هـ.
كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ط 6، دار الشروق، 1416هـ/ 1996م.
الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، ط 3، دار الكتاب العربي، 1407هـ.
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي (ت 807هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ/ 1994م.
محاسن التأويل، القاسمي (ت 1332هـ)، دار الكتب العلمية، 1418هـ.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ط 1، دار الكتب العلمية، 1422هـ.
مختار الصحاح، الرازي (ت 666هـ)، ط 5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420هـ/1999م.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات النسفي (ت 710هـ)، ط 1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ.
مسند أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، ط 1، الرسالة، 1421هـ/ 2001م.
معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (ت 510هـ)، ط 1، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.
مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، ط 3، إحياء التراث العربي، 1420هـ.
المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ط 1، دار القلم، بيروت، 1412هـ.
مقاييس اللغة، ابن فارس (ت 395هـ)، دار الفكر، 1399هـ.
لسان العرب، ابن منظور، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

قائمة المراجع العربية بالحروف اللاتينية

Irshād al-ʻaql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm, li-Abī al-Saʻūd (t: 982h), Ṭ: Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī.
asbāb al-nuzūl lil-Wāḥidī, t: Kamāl zghlwl-Ṭ: 1: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah – Bayrūt, 1411 H.
al-Iṣābah fī Tamyīz al-ṣaḥābah li-Ibn Ḥajar (t: 852h) - Ṭ: 1: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah-1415h.

Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl, llbyḍāwy (t: 685h), Ṭ: 1, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1418h.

al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, li-Abī Ḥayyān al-Andalusī (t: 745h), Ṭ: Dār al-Fikr, Bayrūt, 1420h.

al-Bayān fī ‘add āy alqr’ān-Abū ‘Amr al-Dānī, t: Ghānim Qaddūrī alḥmd-Ṭ: 1: Markaz al-Makhṭūṭāt wa-al-Turāth – al-Kuwayt, 1414h-1994m.

Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al‘rbyt-lil-Jawharī (t: 393h) - Ṭ: 4: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn – byrwt-1407 h - 1987 M.

al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, li-Muḥammad al-Ṭāhir ibn ‘Āshūr (t: 1393h), Ṭ: al-Dār al-Tūnisīyah, 1984h.

tafsīr al-Shāfi‘ī, Ṭ: 1: Dār al-Tadmurīyah-al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah, 1427h. 9. tafsīr al-Shāfi‘ī, Ṭ: 1: Dār al-Tadmurīyah-al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah, 1427h.

tafsīr al-Qur’ān al-Ḥakīm, Muḥammad Riḍā, Ṭ: al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1990 M.

tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm, li-Ibn Kathīr (t: 774h), Ṭ: 1: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1419h.

al-tafsīr al-Wasīṭ lil-Qur’ān al-Karīm, U. D/Muḥammad Sayyid Ṭanṭāwī, Ṭ: 1, Dār Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah.

Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān li-‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir ibn ‘Abd Allāh al-Sa‘dī (al-mutawaffá: 1376h) - t: ‘Abd al-Raḥmān ibn Mu‘allā allwyḥq-al-Nāshir: Mu’assasat alrsālt-al-Ṭab‘ah: al-ūlá 1420h-2000 M.

Jāmi‘ al-Bayān fī Ta’wīl al-Qur’ān, li-Muḥammad ibn Jarīr, Abū Ja‘far al-Ṭabarī (t: 310h) - t: Aḥmad Shākir, Ṭ: 1: Mu’assasat al-Risālah, 1420h.

al-Jāmi‘ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallá Allāh ‘alayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh = Ṣaḥīḥ albkhāry-Ṭ: 1: Dār Ṭawq al-najāh, 1422h.

al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, Abū ‘Abd Allāh Shams al-Dīn al-Qurṭubī (t: 671h), Ṭ: 2: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 1384h.

al-Durr al-manthūr fī al-tafsīr bi-al-ma’thūr, al-Suyūṭī, al-Nāshir: Dār al-Fikr – Bayrūt.

Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm wa-al-Sab‘ al-mathānī, al-Ālūsī, Ṭ: 1, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1415 H.

Zād al-Musayyar fī ‘ilm al-tafsīr, li-Ibn al-Jawzī (t: 597h), Ṭ: 1: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1422 H

Fatḥ al-qadīr, llshwkāny (t: 1250h), Ṭ 1, Dār Ibn Kathīr, 1414h.

al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq al-tanzīl, al-Zamakhsharī Jār Allāh (t: 538h), Ṭ: 3: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1407h.

Lisān al-‘Arab, li-Ibn manẓūr, Ṭ: 3: Dār Ṣādir, Bayrūt, 1414 H.

Maḥāsin al-ta’wīl, lil-Qāsimī (t: 1332h) -: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah-1418 H.

al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz, li-Ibn ‘Aṭīyah, Ṭ: 1: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1422h.

Mukhtār alṣḥāḥ-lil-Rāzī (t: 666h) - Ṭ: 5: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah-al-Dār al-Namūdhajīyah, Bayrūt – ṣydā-, 1420h/1999M.

Madārik al-tanzīl wa-ḥaqā’iq al-ta’wīl, li-Abī al-Barakāt al-Nasafī (t: 710h), Ṭ: 1: Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Bayrūt, 1419 H.

al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-‘Adl ‘an al-‘Adl ilá Rasūl allh-li-Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Nīsābūrī (t: 261h) - Ṭ: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt.

al-Miṣbāḥ al-munīr fī Gharīb al-sharḥ al-kabīr llfywmy (t: Naḥwa 770h) - al-Nāshir: al-Maktabah al-‘Ilmīyah – Bayrūt.

Ma‘ālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur’ān, llbghwy (t: 510h), Ṭ: 1: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1420 H.

Mafātīḥ alghyb= al-tafsīr al-kabīr, llfkhr al-Dīn al-Rāzī (t: 606h), Ṭ: 3: Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1420h.

al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, lil-Aṣfahānī, Ṭ: 1: Dār al-Qalam, Bayrūt, 1412h.

Maqāyīs allght-li-Ibn Fāris (t: 395h) - Ṭ: Dār alfkr-1399h.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (33)، ع (5)، ص ص: 157 – 186، (٢٠٢٥م)
DOI: 10.64064/1658-4295.1061

Breeding patience through the story of Yusuf (peace be upon him)

Ghaliah bint Mohammed bin Hassan Al-Ramthi Al-Bishi
Assistant Professor, Department of Islamic Studies, Faculty of Education
Bisha University, Bisha, Saudi Arabia
g.mh20101@gmail.com

Abstract. I relied on the inductive and deductive method in this research by reading the verses of the story of Yusuf - peace be upon him - to extract the verses that talk about education on patience and then arrange them to find out what is related to placing the verses in their respective sectio. The research included introducing the Surah Yusuf, explaining the concept of patience, explaining its divisions, its virtue and status, mentioning the places where patience is mentioned in the story of Yusuf, and explaining the concept of Islamic education. It included the discussion of Joseph's patience with the envy of his brothers, his being thrown into the pit, his patience with his slavery, leaving his father, and its impact on human self-control. His patience with the wooing of the dear woman and the scheming of the women in the city, and its impact on controlling the sexual instincts of young men and girls, his patience with the ordeal of imprisonment, and its impact on the call to God, his patience in taking over the reins of government, and its impact in helping and managing the success of the king and overcoming crises, his patience when meeting his brothers; his impact in forgiving and forgiving when able, his patience when his vision was realized, and its impact in humility and self-digestion from triumph the ways of utilizing the educational values of patience through the story of Yusuf - peace be upon him - in the contemporary reality.

Keywords*:* Patience, Yusuf, Story, Education.